

الإسلام دين الله الخاتم

إطالة على بعض خصائصه

سمير حسن

تنقسم الحضارات الإنسانية منذ بدء البشرية على سطح الأرض إلى قسمين لا ثالث لهما: الحضارة الإلهية والحضارة المادية.

فقد شهدت الأرض صراعات على مختلف الأصعدة بين هاتين الحضارتين، وكلّ منهما بين كرّ وفر، فتارة يكون الانتصار للأولى، وأخرى للثانية، وتستمر الحياة ويبقى باب الصراع مفتوحاً.

وشهد سطح الأرض تواجد مئة وأربعين ألف نبي يدعون إلى الحضارة الأولى ونبذ الحضارة الثانية، بالمقابل وجد ملايين الطواغيت والفراعنة منذ البدء إلى الآن يحاربون حضارة إحياء عبادة الله على الأرض.

وجاء الأنبياء ﷺ بالرسالات والشرايع وقاموا بإنذار الناس إلى دين الله تعالى، فكانت الشريعة الإبراهيمية -الحنفية-، والشريعة الموسوية، والشريعة المسيحية، وصولاً إلى شريعة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

ثم حمل الإسلام كلّ ما تطمح إليه البشرية من حياة سعيدة وبقاء وخلود، فجاء في طيائه كلّ ما يحتاجه الإنسان في الدنيا والآخرة.

نما الإسلام في بيئه جاهلية، متخلفة عن القافلة الإنسانية، واستطاع في فترة قصيرة

الإسلام دين الله الخاتم

من الزمن رغم كل الصراعات أن يرى أتباعاً مثل سلمان والمقداد وعمار، فكان بحق الدين الإلهي المعجز

ولقد تعرض ديننا لمختلف المؤامرات بهدف محوه والقضاء عليه، ولكنه بقي، لأن تعليماته تتواافق مع الفطرة، ولأنه رأى أتباعاً مستعدين للتضحية في سبيل نشر هذا الدين على سطح الأرض إن هذا البحث المتواضع الذي بين يديك قارئ العزيز يعطي صورة عن الدين الإسلامي، أمل من خلالها أن تتوصل إلى معرفة بعض الشيء عن هذا الدين.

فتعرضت بداية لمسألة حاجة الإنسان إلى الدين كمدخل للبحث. ثم تحدثت عن ظاهرة تغير الرسائل السماوية، ولماذا هذا التغيير، وما الحاجة إليه.

وانتقلت بعدها للدخول في بعض خصائص الرسالة الإسلامية لإثبات حقانيتها، فتحدثت عن بيئة نزول الإسلام، ومسألة العبادات في الإسلام وتعامل الإسلام مع بقية الأديان...

من بعدها كان لابد من الحديث عن مسائل هامة كخاتمية الإسلام وشموليته، وعن الاجتهاد في الإسلام كحركة مواكبة لتطورات العصر، وعن منطقة الفراغ التشريعي لإعطاء المرونة لهذا الدين.

ثم في النهاية تعرضت إلى مسألة تعاطي الآخرين مع الإسلام وكيفية تفكيرهم اتجاه هذا الدين الحنيف.

إنني أمل من الله سبحانه وتعالى أن يوضح هذا البحث شيئاً ما - الدين الإسلامي، مستعيناً به **رَجُلَنِي، عَلَيْهِ نَوْكِلُ وَإِلَيْهِ تُنِيبُ.**

الدين حاجة إنسانية ثابتة

- تعتبر ظاهرة الدين من أهم الظواهر التي وجدت على سطح الأرض، منذ الإنسان الأول إلى الآن، فهذه الظاهرة لم تفارقه على مدى المسيرة البشرية كما يبيّن لنا ذلك مختلف العلماء والمفكّرين.

لذلك، لابد من دراسة هذه الظاهرة دراسة موضوعية تفضي بنا إلى معرفة سر هذه الظاهرة ومكانتها العميقية في النفس الإنسانية، مُبَيِّن وجهات النظر المختلفة حولها.

- الإشكالات التي أثيرت حول الدين:

فلقد أثير العديد من الإشكالات حول ظاهرة الدين، وحول هل أن الدين والمعتقدات الدينية لها وجود حقيقي، أم هي مجرد أوهام وخرافات؟

فإنكار الدين والإلحاد ليس محض إدعاء، بل يرى أصحاب النظرية الإلحادية أنها طريقة بحث ودراسة، اهتدى إليها الإنسان بعد التطور الحديث في ميادين العلوم المختلفة.

وتعتبر حسب زعمهم -التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضي «إنفجاراً معرفياً» في وجه جميع الأساطير الإنسانية عن الآلهة والدين كما تفجرت الأفكار القديمة عن المادة ونفيت بمجرد تفجير الذرة.. هذه هي قضية العلم الحديث الموجهة إلى الدين كما يقول البروفسور جوليان هكسلي^(١). ويزعم المنكرون للدين بأنّ الإنسان - ومن منطلق غريزة حب الاستطلاع الموجدة عنهـ أخذ بالبحث عن حقائق الكون وما يحتويه من عجائب، ولما لم يصل البحث بالإنسان إلى حقيقة ملموسة أخذ يفترس الحقائق الكونية وجودها بانها ترجع إلى عالم ما وراء الطبيعة، فأخذ الإنسان يتصور موجوداً غير ملموسٍ أوجد الكون، ومن هنا كانت فكرة الدين.

كما يقدم معارضو الدين تفسيراً آخر لهذه الظاهرة، فيقولون: إنّ القضايا الدينية وجدت لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان، فلم يكن في استطاعته أن يُفلت من السهول والأعاصير والطوفانات والزلزال والأمراض، فأوجد قوى فرضية يستعين بها من البلايا النازلة، وهكذا ظهرت الحاجة إلى شيء يجتمع الناس حوله، ولا يتفرقون، فاستغل اسم الإله الذي تفوق قدرته قدرة الإنسان.

كما يوجد سبب ثالث لإنكار الدين، وهذا السبب يتعلق بحاملي رأية الدين وتطبيقاتهم الخاطئة للمعتقدات الدينية. فإذا نظرنا إلى أوروبا في العصور الوسطى نجد أن الكنيسة هناك أخذت تحارب التقدم العلمي باسم الدين، وأحدثت تلك الفجائع والمأساة من قبل الكنيسة بحق العلماء والمفكرين ردة فعل عنيفة من الشارع العام اتجاه مسألة الدين، فنظر الناس إلى الدين بأنه يحارب العلم والمعرفة ويدعو إلى الجهل، لذلك أخذ الكثيرون بإنكاره وتوسعت سياسة العلمنة عندها.

«وكذلك فإن سلوك الكنيسة مع الناس التغسّاء والمحروميين، من أجل الحصول على الشروء والقدرة، أحدث رد فعل عنيف في روسيا ضد الدين، وساعد كثيراً لانتصار الحركة الماركسية هناك، وسبب في أن يبدأ قادة الشيوعية كفاحاً ممتداً وطويلاً ضد الدين، وأن

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، مؤسسة الرسالة، ط٢٢، ص. ٢٥.

الإسلام دين الله الخاتم

يصفوا الدين بأنه مستمسك للمستثمر للإستثمار الطيبة العاملة»^(١).

إذاً، وانطلاقاً من هذه الإشكالات لابد من عرض الدين للبحث في مدى واقعيته وحقانيته والرّد على هذه الاعتراضات وفق الفطرة والعقل وما نُقل عن بعض المفكرين.

- الدين في اللغة:

يقول الراغب الأصفهاني: «والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة»^(٢).

- فطرية الدين:

توضيح الأمر الفطري: هو ما يكون أحد الإنسان به وتعامله معه بداع الطبيعة البشرية المحسنة من دون تأثير من الخارج مثل حنان الأم على ولدها، والأمور الفطرية تشمل كلّ البشر في مختلف الأمكانة والأزمنة (عدا من شدّ منهم).

- خصائص الأمر الفطري:

أ. شامل لكلّ البشر.

ب. ينبع من باطن الإنسان.

ج. إن التأثيرات الخارجية قد تكون سبباً في غفلة الإنسان عن فطرته، لكن هذه التأثيرات لا تلغى الفطرة بشكل كامل، كما أن الأمر الفطري خاضع للتقوية،
د. الدعايات والمؤامرات الخارجية لا تقضي عليه.

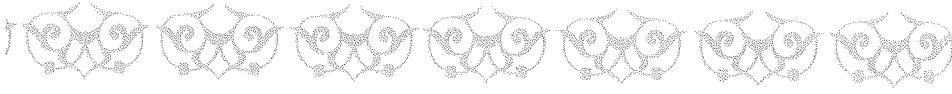
وإذا طبقنا هذه الخصائص الأربع على ظاهرة الدين لوجنه يتمتع بها، فهو شامل لكلّ البشر في مختلف الأمكانة والأزمنة، وتدلّ على هذه النقطة الممارسات العبادية التي قامت وتقوم بها مختلف الشعوب، والميزة الثانية في الأمر الفطري موجودة في ظاهرة الدين، أي أن الدين ينبع من باطن الإنسان كما يؤكد ذلك الوجдан الإنساني، ونرى ذلك بوضوح عند أغلبية الناس التي تبحث عن الحقيقة.

٢٥

والميزة الثالثة، أي عدم خصوصه للتأثيرات الخارجية، (بالمعنى الذي ذكر أعلاه) ويؤكد ذلك حملة الدين وأنهم كانوا بأغلبيتهم من المستضعفين، والميزة الرابعة موجودة أيضاً - عدم تأثير المؤامرات

(١) الإسلام والحضارة الغربية، السيد مجتبى الموسوي الاري، دار الأمير، لـط، ص ٢٥.

(٢) مفردات الفاطق القرآن، الراغب الأصفهاني، منشورات ذوي القربي، ط١، من ٢٢٣.



الخارجية. ويدل على ذلك صمود الدين أمام الطغاة والظالمين في مختلف العصور.

والدين أمرٌ فطريٌ له معنيان:

- أ. إن الاعتقاد بالله أمر فطري.
- ب. إن ما جاءت به الشرائع الإلهية من إقامة العدل ودفع الظلم والأوامر الأخلاقية... تقتضيه الفطرة الإنسانية.

ونلجم الآن إلى القرآن الكريم لنرى ماذا يقول حول مسألة فطرية الدين.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا وَجْهُكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي قَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَشِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. هذه الآية الكريمة تتحدث بوضوح عن كون الدين من مقتضيات الفطرة البشرية، وأن الناس في جبلتهم مفطرون على الإيمان الديني.

وإذا دققنا النظر أكثر لزمنا أن نقول: إنه ينبغي أن يكون الدين أمراً فطرياً، لأن الدراسات التوحيدية تقول لنا: إن بين جهاز التكوين والتشريع انسجاماً لازماً، فما ورد في الشرع لابد أن يكون له جذور في الفطرة، وما هو في التكوين وفطرة الإنسان مكمل لقوانيين الشع. يعني أن الأمور التشريعية- الرسالات السماوية- يجب أن تكون موافقة للأمور التكوينية- التي منها الفطرة، وإلا للزم التناقض في خلق الله وهو محال كما ثبت في محله فراجع. إذاً، وبعد أن بتنا فطرية الدين، لابد للإنسان أن يُذعن لهذا الأمر وأن يُشبع هذا الأمر الفطري بانتهاج الرسالات السماوية.

- الحاجة إلى الدين:

«كان نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ذا أفكار مضادة للدين، ولم يكن معتقداً بأي دين أو مذهب. والذي يستتبط من خلال أقواله: أنّ الأمر الذي جعله محافياً للدين، هو ما في الدين من تحجر وثبات. لقد وجد نهرو في أواخر عمره إحساساً بالخلاء في وجوده وفي العالم، واعتقد أن هذا الخلاء لا يمكن ملؤه إلا بالقيقة المعنوية. غير أنه يقي بعيداً عن الاقتراب لأي مذهب أو دين، بسبب ما كان يعتقده من تحجر وثبات فيه. أجرى أحد الصحفيين الهنود مقابلة صحفية مع نهرو في أواخر أيام حياته، والذي يبدو



الإسلام دين الله الخاتم

أن هذه المقابلة كانت آخر ما أبداه نهرو من أفكار بضد التصورات العامة عن العالم والكون.

يقول نهرو في هذه المقابلة: «إن الإلقاء من المناهج الروحية أمر ضروري وحسن أيضاً. ولعلنا أشد حاجة للإلقاء من هذه المناهج، إذ إننا اليوم يلزمتنا أن نتلامس الإجابة على الخلاء الروحي الذي ساد على أثر التمدن المعاصر ثم يضيف على مسألة الإرتقاء بالأخلاق والقيم الروحية إلى مستوى أرفع بأنه من البديهي أن الدين هو الطريق لذلك، غير أن المؤسف هو أن الدين هبط مستوى بحكم ضيق الأفق وشكليته في متابعة الأوامر الجافة وأداء بعض المراسيم الفارغة. فقد بقي شكله ومظهره الخارجي، غير أنه فُرغ من مضمونه الواقعي»^(١).

إن الله سبحانه وتعالى، ومن منطلق حكمته وعدله، كان لابد عليه من أن يبيّن الطريق الصحيح أمام الناس لكي يسلكوه ويصلوا به إلى المبتغى من خلقتهم.

عندما نطالع قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُوْنَ» نصل إلى نتيجة مفادها أن الله عَزَّلَ خلق الإنسان للعبادة ومعرفته سبحانه وتعالى، فهي الغاية القصوى. ونتساءل حول هذا الموضوع بعدة أسئلة: كيف نيسّر معاشرنا في هذه الحياة لكي نسلك في الجادة المستقيمة؟ إذا انحرف المسير فما هو السبيل لكي يستقيم؟ ...

كل هذه التساؤلات وغيرها لابد للإنسان من أن يعرف جوابها. إن الله سبحانه وتعالى- ومن منطلق حكمته ولطفه- بعث الأنبياء لكي ينقذوا الناس من الضلال، ولكي يأخذوا بأيديهم إلى الهدى، فالله عَزَّلَ ومن منطلق تقريب الناس منه ينبغي عليه تعالى أن يوضح الطريق للناس، لكي يصلوا إلى الهدف الأسماى من خلقهم، فأرسل الأنبياء عَزَّلَ لكي يأخذوا بيد الناس نحوه عَزَّلَ، وأنزل معهم الشرائع كي تكون الدستور المنظم للحياة الإنسانية، وبها يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة.

فالدين- الذي هو بطبيعة الحال مع اختلاف الشرائع- يحوي كل ما يحتاجه الناس في مسارهم نحوه تعالى وفي علاقتهم مع بعضهم البعض، فكان الحاجة للدين

ونبارك في نهاية الحديث عن الدين بهذه الرواية عن الإمام علي عَزَّلَ: «مفارقة الدين مفارقة الأمان، ولا تهأنا حياة مع مخافة»^(٢).

(١) نظام حقوق المرأة في الإسلام، الشهيد مطهرى، الدار الإسلامية، ط٢، ص ٧٨-٧٩، بتصريف.

(٢) ميزان الحكم، الشيخ محمد الرشّهري، دار الحديث، ط١، ج٢، ص ١٢٦.

ظاهرة تغیر الرسالات السماوية

- قد يندرج في ذهنك أيها القارئ العزيز إشكال، وهو أنه لماذا نرى هذا الاختلاف في الرسالات السماوية؟ فنجد اليهودية والمسيحية والإسلام... فإذا كان المرسل واحداً، فلماذا هذا التعدد في المرسل؟

قبل تحليل أسباب التعدد في الرسالات، نتوقف عند مسألة جوهرية في البحث، وهي: ما هو مدى الاختلاف فيما أتى به الرسل، هل أنهم اختلفوا في كل ما قالوه؟ أم أنهم انفقوا في نقاط أساسية؟

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعْ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَنِيبُ﴾ - الشورى ١٣ -

النقطة الأساسية والجوهر الأساس الذي تنتهي إليه جميع الرسالات السماوية هو الإقرار بوجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، فدعوة الإسلام إلى التوحيد ليست دعوة جديدة، بل إنها دعوة جميع الأنبياء، ليس أصل التوحيد فحسب، بل إن جميع دعوات الأنبياء في القضايا الأساسية وفي اختلاف الرسالات السماوية كانت واحدة. ولهذا السبب، يوجد هناك أدلة كثيرة في الآيات القرآنية تبين أنّ الأصول العامة للعقائد والتعليمات واحدة في جميع الرسالات.

فمثلاً، نقرأ في القرآن الكريم بخصوص شرح حال العديد من الأنبياء أنّ أول دعوة لهم كانت: ﴿يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ - الأعراف ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، ٥٠ و٨٤ -، وهؤلاء الأنبياء هم: نوح عليه السلام، هود عليه السلام، صالح عليه السلام، وشعيب عليه السلام.

وأيضاً فقد ورد الإنذار بالبعث في دعوة العديد من الأنبياء (الأنعام ١٣، الأعراف ٥٩، الشعراء ١٣٥، طه ١٥، مريم ٣١).

إذًا، فدعوة الأنبياء عليه السلام التقت في العديد من النقاط والركائز الأساسية، ولكن كانت هناك بعض الاختلافات والتفصيات سبب التعدد في الرسالات.

الإسلام دين الله الخاتم

ونجد في القرآن الكريم بأنّ الله سبحانه وتعالى يذكر أنه يوجد دين واحد^(١)، وهذا الدين يتفق مع اختلاف الشرائع على مسألة وجود الله والتسليم له سبحانه. والآيات الكريمة تحدثت عن أنّ الصراط واحد^(٢)، أما الاختلاف فهو في الشرائع^(٣) وسيأتي سببه أو بالأحرى: أسبابه في التفصيل الآتي:

- أسباب الاختلاف في الشرائع:

أ. استنفاد غرض النبوة- كما عبر الشهيد الصدر: وهو أنّ الشرائع المختلفة تأتي بمميزات خاصة بها لتحمل أزمات العصر التي تنزل به، فعلى سبيل المثال نجد أنّه في عصر ما قبل النبي عيسى عليه السلام انتشر الترف بين الناس، فكان لابد من نزول شريعة تستأصل الترف من جذوره في المجتمع، فأتت رسالة الإنجيل مليئة بالدعوات إلى الرهد والإعراض عن الدنيا، فكانت هذه الميزة هي السمة الأساسية لشريعة النبي عيسى عليه السلام، ولكنه انتهت هذه الشريعة باستنفاد غرضها فكان لابد من مجيء شريعة جديدة.

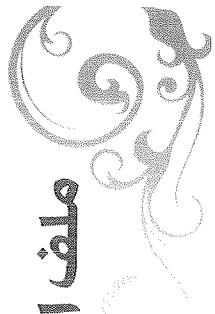
ب. انقطاع تراث النبوة، أو عدم القدرة على المحافظة على الكتاب فتتعرض الرسالة للتحريف، وبالتالي ينتفي الغرض من جعلها؛ فلابد من رسالة جديدة.

يقول الشهيد مطهرى: «لما كان الإنسان القديم بسبب عدم بلوغه الفكري ونضجه غير قادر على المحافظة على كتابهم السماوي (كتابه) وأصبحت الكتب السماوية عادة موضع تحريف وتغيير، وأنّ عصر نزول القرآن- أي قبل أربعة عشر قرناً- كان مقارناً للدور الذي وضعت البشرية فيه طفولتها خلفها، وتتمكن فيه من المحافظة على مواريثها العلمية والدينية، ولذا فلم يتسرّب التحريف إلى آخر كتاب سماوي مقدس أي القرآن، وكلّ المسلمين عامة يحفظون كل آية عند نزولها»^(٤).

(١) وكل الآيات القرآنية التي تحدثت عن الدين، تكلمت عنه بصيغة المفرد، ولا تجد آية كريمة تحدث عن الدين بصيغة الجمع.

(٢) يقول الله تعالى: «إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُّلَ فَتُنَزَّلُ بِكُمْ مِنْ سَبِيلِهِ»- الأنعام- ١٥٣- . لقد اعتبر القرآن أنّ الدين واحد والشريعة متعددة، وأكد القرآن أنّ جوهر الدين واحد في جميع المتصور. أما الشريعة فالمراد بها: التعاليم العلمية والأخلاقية التي تنظم ملائكة الإنسان الفردية والاجتماعية وتعدد مسؤوليته أمام الله والناس. والكلام في وحدة الصراط يتعارض مع بروزه البعض من معان للتعددية الدينية- عبد الكريم سروش وغيره، حول أنه يوجد تعدد في الأديان والصراط، وحقائقها وتعدد الفهم للدين... فهؤلاء لم يفرقوا بين الشريعة والدين، حتى وصلت الأمور بعضهم أن ينهموا الأنبياء بتعذر فهمهم للدين عصمنا الله من الزلل في القول والتفكير والعمل.

(٣) الشهيد مطهرى، الوحي والنبوة، دار المحة للطباعة، لا ط، ص ٢٩



جـ اختلاف الأنبياء بقابلياتهم ومحدودية نفس النبي^(١): فالأنبياء فيما بينهم تختلف قدراتهم، وبالتالي تختلف الشرائع النازلة عليهم بحسب قابلية كلّ نبي، فالنبي هود عليه السلام على سبيل المثال غير قادر على حمل شريعة النبي محمد^ص مع الإلتزام إلى الفرق بين الأنبياء التبليغيين والأنبياء التشريعيين أصحاب الرسالات.

دـ اختلاف قابليات الناس ما قبل النبوة الخاتمة مع الناس الموجدين في عصر النبوة الخاتمةـ وهذا ما يمكن اعتباره السبب الأبرز لاختلاف الشرائعـ: فالناس ما قبل عصر النبي محمد^ص لم يكونوا قادرين على تلقي رسالة الإسلام، وذلك بسبب عدم أهليةهم لتلقي الخطبة العامة لمسيرتهم، ثم تستمر المسيرة على ضوء تلك الخطبة في طريقها، لعدم البلوغ والنضوج، فكان لابد من التدرج في إلقاء المعارف إلى البشر لدرجة تؤهلهم أن يتلقوا رسالة النبي محمد^ص، المستوعبة لكافة شؤون الحياة الإنسانية، إن على الصعيد الدنيوي أو الآخروي.

هـ قابلية علماء عصر النبي محمد^ص على إكمال المسيرة بعدهـ، «علماء الأمة في عصر الخاتمية الذي هو عصر العلمـ لهم القدرة علىـ تطبيق الكلمات مع الظروف والمقتضيات المكانية والزمانية بمعرفة أصول الإسلام العامة ومعرفة الظروف، ثم استنبط الحكم الإلهي واستخراجهـ، واسم هذه العملية «الاجتهاد»ـ. وإن علماء الأمة الإسلامية الأفباء يقومون بكثير من واجبات الأنبياء التبليغيين وبعض واجبات الأنبياء التشريعيين دون أن يكونوا مشرعين عن طريق الاجتهادـ وواجب هداية الأمة الخاصـ. ولهذا فقد انتفت الحاجة إلى تجديد النبوة ونزلت كتاب سماوي جديد ومجيء نبي جديد إلى الأبد»^(٢).

(١) عن الإمام الصادق^ع: «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: النبي مُنبأً في نفسه لا يعلمه غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعيشه في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام، مثل ما كان إبراهيم على لوط^صـ، ونبي يرى في منهـ ويسمع الصوت ويعاين الملكـ، وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثرواـ، كهونـ، قال الله ليوسـ: «وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون»ـ قال: يزيدون: ثلاثة أئمةـ وعليه إمامـ، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمامـ مثل أولي العزمـ، وقد كان إبراهيم^صـ نبياً وليس بإمام حتى قال الله: «أني جاعلك للناس إماماً...»ـ، ميزان الحكمـ، مـ، سـ، جـ ١، صـ ٣٩٩٥ـ.

(٢) الشهيد مطهرى، الوحي والنبوة، مـ، سـ، صـ ٢٩ـ ٣٠ـ، بتصرفـ.

(٢) شيعة أهل البيت^(ع) يعتقدون أنه بعد النبي محمد^صـ، ومن منطلق وصيته^صـ، كانت الخلافة في تطبيق الشريعة وقيادة المجتمع لأمير المؤمنين^عـ والأولادــ من بعدهـ قادرونــ بسبب عصمتهمــ كما ثبتــ في محلهــ على إكمال دورــ النبيــ في التبليغــ، وهمــ القادرونــ علىــ إكمالــ هذهــ المسيرةــ.



الإسلام دين الله الخاتم

الدخول إلى الرسالة الإسلامية

- بعض خصائصها -

بيئة نزول الإسلام

- لكي نعرف أي حركة من الحركات، أو أي حزب من الأحزاب، أو أي شريعة من الشرائع... لابد لنا من معرفة الظروف المحيطة- من بيئه اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو جغرافية... بها.

من هنا، إذا أردنا معرفة الإسلام لابد لنا من معرفة البيئة المحيطة به كي ندركه أكثر وعندما نقول بيئه ظهور الإسلام، لربما قد يتبداء إلى أذهان البعض، مكة، أو المدينة، أو الحجاز... ولكن ليس هذا ما نبتغيه من البحث.

فالرسول الأكرم ﷺ، ومنذ بداية دعوته وقبل ذهابه إلى المدينة، لم تقتصر دعوته على أهل مكة أو الحجاز، بل أنه دعا الفرس والروم والناس جميعاً.

لذلك، لا ينبغي لنا التوقف عند مكة أو الحجاز، بل لابد من معرفة الممالك التي دعاها الرسول إلى الإسلام منذ البداية.

أ. الوضع الثقافي: ينقل المؤرخون أن الشعر كان له السيادة- في الأمور الثقافية- عند العرب في عصر ظهور الإسلام، فهو كان منبع المعرفة الأول عند العرب، وهذا ما اشتهر عنهم.

ويأتي بعد الشعر انتشار التعاليم اليهودية في الجزيرة العربية آنذاك.

لقد كان الوضع الثقافي وقها يُرثى له في الجزيرة العربية، وكان الشعر هو الأساس عند العرب، وكانت الأممية منتشرة حينها، فسُنحت الفرصة لليهود كي يندسوا بين العرب وينشروا ما يشاؤون من خرافات وتضليلات.

ب. الوضع الاقتصادي: كان الاقتصاد العربي حينها يعتمد في الأساس على الرعي والزراعة، أما بالنسبة للتجارة، فكان عرب اليمن وعرب الحجاز يمارسون التجارة حسب الفصول إلى المدن المناسبة.

ج. الدولة في الجاهلية: «كان الحكام يحكمون آنذاك في كافة شؤون الحياة المادية، فكان يحتمل عليهم في المنازعات والدماء والمياه والمواريث... بسبب عدم وجود الشرائع الحاكمة، فكان حينها أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والمجد والتجربة»^(١).

(١) تاريخ اليعقوبي، مؤسسة الأعلمي، ط١، ص٢١.

وكانت الحكومة في أطراف الحجاز ونجد- لافيهمـ حـكـومـاتـ الغـاسـسـنةـ والـمـنـذـرـةـ والـقـطـاطـانـيـنـ وـدـوـلـةـ منـ كـانـواـ عـلـىـ سـاحـلـ الـخـلـيـجـ الـفـارـسـيـ الغـرـبـيـ.

- الديانات السائدة آنذاك: إن الديانات السائدة عند شروق الإسلام في بلاد العرب هي اليهودية في الدرجة الأولى، وال المسيحية في الدرجة الثانية، وال زرادشتية في الدرجة الثالثة، والصائبة في الدرجة الرابعة، وفي الدرجة الخامسة أديان محلية شتى.

«اليهودية والمسيحية كانتا في شمال البلاد العربية، والزرادشتية والمزدكية في مشرقها وكانت ديانة الفرس، وفي الجنوب ويشرب كانت اليهودية أيضاً، وفي سائر المناطق كانت الوثنية والصابئية وأديان شتى»^(١).

- طوائف قريش المهمة ومناصبها: كانت قريش بيوتات عديدة أهمها الهاشميون والأمويون والنوفليون والداربيون وبنو أسد وبنو مخزوم وتيم وجمع وسهم. أولئك كانوا هم أولي الشأن، وكانت مناصب الكعبة حتى ذلك الحين اثنين أو ثلاثة، بيد أن قصياً زادها توحيداً لتلك البيوتات.

- الممالك المحاذية بالجزيرة العربية، وهما إيران الممتدة من وسط العراق الحاضر وقسم من القفقاز من الغرب والشمال إلى ديار الترك في أفغانستان وقسم من باكستان يشمل وادي السند.

والثانية هي مملكة الروم الذين كان لهم دولة كبيرة تضم قسمًا من العراق وتركيا وبلاط البلقان، وهؤلاء هم الروم الشرقيون.

وكان يوجد مملكتان من الدرجة الثانية، هما مصر الحاضرة ومعها ليبيا وتونس وشيء من السودان. والثالثة هي الحبشة التي تشمل أثيوبيا وشيشاً من السودان الحاضرة. فإذا اخترنا هذه الممالك الأربع لا يبقى لدينا من دنيا التمدن في ذلك الوقت إلا الصين والهند.

«والنقطة المهمة التي ينبغي الإلتفات إليها أن جميع الأطراف لمولد الإسلام- أي الحجاز- كانت فيها حكومات مركبة ماعدا الحجاز نفسها التي كانت متخلفة في هذا الميدان»^(٢).

(١) بستة ظهور الإسلام، الشهيد السيد محمد بهشتى، دار الروضة، لا ط، ص ٣٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٤.

الإسلام دين الله الخاتم

الإسلام والعلم

تعد مسألة العلم من المسائل المهمة في الحياة الإنسانية، فمن الخصائص التي يتميز بها الإنسان عن العجماء هي هذه النقطة.

وتعود هذه المسألة أيضاً من الأمور التي تؤهل الإنسان للعب دور الخلافة على الأرض إذا استفاد منها - من العلم - بالشكل الصحيح.

ولكن، خلال القرون المتأخرةأخذ الحديث حول مسألة «التناقض بين العلم والدين» جدلاً واسعاً بين العلماء والمفكرين، وخاصة بعد أن أظهرت النتائج عدم صوابية بعض الأمور التي كانت تتبعها الكنيسة وتعتبرها جزءاً من العقيدة الدينية لذلك أخذ الناس يخطئون الدين بسبب التفكير الكنسي، بالإضافة إلى أن التطور العلمي أجرى تحولاً هائلاً في الأوضاع المعيشية، وغير شكل الحياة. فأخذ المجتمع يتوجه صوب الأمور المادية ويعتقد بما يتلمسه فقط، وأخذ دور الغيب ينتهي في التفكير الإنساني.

ومن الإشكاليات التي تصادفنا أثناء الحديث عن العلم، أننا نرى العلم يتقدم على طريق الفيزياء، ليكتشف قوانين الضوء، فيأتي جمع من المستغلين ليستخدمو هذه القوانين أداة لإعداد الأفلام الجنسية المغربية.

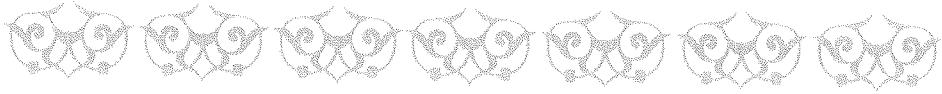
ويمضي العلم ليكتشف دواخل الذرة، ويستمر طاقتها المذهلة، ولكن قبل أن يقع هذا الاكتشاف في خدمة المصلحة الإنسانية، يأتي الطاغة ليصنعوا القنبلة الذرية المدمرة في ضوء هذا الاكتشاف. من هنا كان لابد من التوقف عند مسألة نظرية الإسلام إلى العلم، وأراء بعض المفكرين الآخرين بما قدمه الإسلام في هذا المضمار.

- نرى أن الإسلام حتّ الناس على التعلم، ومثير المتعلمين عن غيرهم - العلم الذي يؤدي إلى القرب من الله عزّل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ - المجادلة ١١.-
- العلم وطاعة الله: ﴿وَبِرِّي الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ - سبأ ٦.-

عن رسول الله ﷺ: «طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحجّ والجهاد في سبيل الله تعالى»^(١).

(١) ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، ط١، ج٧، ص٢٧٤.



وعن الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا التعلم ولو بحوض الحج وشق المهج»^(١). وإن نبي الإسلام، بالإضافة إلى ما كان يقوم به من أنواع الترغيب لإشاعة العلم، كان يفيد عملياً من كل فرصة لترفع مستوى معلومات المسلمين وقدرتهم العلمية، وهناك نموذج تاريخي يُبيّن هذه الحقيقة جيداً: «أسر رسول الله صلوات الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقا فهو فداوه»^(٢). وإن علياً عليه السلام، بعد نشر العلم والثقافة من وظائف وتكليف الحكومة الإسلامية إذ يقول في كلام له عليه السلام: «أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، لكم علي حق؛ فأئماً حقكم علي... وتعليمكم كي لا تجهلوا...».

نقل محمد فريد وجدي في كتابه «دائرة معارف القرن العشرين» عن العلامة «درابر» الأستاذ في جامعة نيويورك الأمريكية في كتابه «الممتازة بين العلم والدين»: «وبعد وفاة محمد ترجمت إلى العربية أهم المؤلفات اليونانية... ولكن عصر العلم الراهن في القارة الآسيوية لم يشرق إلا في خلافة المأمون، الذي تولى الخلافة في سنة ٨١٣ م فإنه جعل بعثاد العاصمة العلمية العظمى، وجمع إليها كتاباً لا تُحصى، وقرب إليه العلماء وبالغ في الحفاوة بهم»^(٣). ويقول «غوستاف لوبيون»: «في ذلك العهد الذي لم يكن للكتاب والمكتبة أية قيمة أو معنى لدى الناس في أوروبا ولم يكن يوجد في جميع الصوامع وعند جميع القسسين في أوروبا أكثر من خمسمائة كتاب ديني، كان للدول الإسلامية ما يكفي من الكتب والمكاتب، فهي مكتبة «بيت الحكم» ببغداد أربعة ملايين كتاباً، وفي مكتبة الملوك بالقاهرة مليون كتاباً، وفي مكتبة «طرابلس» في الشام ثلاثة ملايين كتاباً، وفي إسبانيا كان يصدر سنوياً ما يقرب سبعين إلى ثمانين ألف كتاب»^(٤).

وكتب الدكتور «ماكس ميرهوف» يقول: «سيدرك العالم في المستقبل أهمية العلوم الإسلامية أكثر من ذي قبل»^(٥).

(١) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ص ٢٧٤٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، دار الكتب العلمية، ط١، ج٢، ص ١٦.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، ط٣، مجلٰ٦، ص ٦٠٨.

(٤) الإسلام والحضارة الفرينية، السيد مجتبى الموسوي الملاري، دار الأمير، لا ط، ص ١٥٥.

(٥) الإسلام والحضارة الغربية، مصدر سابق، ص ١٥٦.

الإسلام دين الله الخاتم

وكتب العالم الإنكليزي «جمير» يقول: «حقاً إنَّ القلم يعجز عن بيان ما جاء به المسلمين من الأدب والمراسيم الإنسانية ومن سعادة الحياة، وكم سببوا في تربية الأوروبيين وتطورهم لو لم يكن المسلمون ينزلون بقيادة «طارق بن زياد» في جبل طارق سنة 711 م ومن هناك لم ينطلق- الإسلام- إلى أراضي أوروبا، لكان يعلم مدى ما كنا نخسر نحن شعوب أوروبا وكم كنا نختلف عن التقدم القائم اليوم»^(١).

العبادة في الإسلام

لكي ينجح أي دين في الدخول إلى قلوب الناس، لا بد من أن يراعي تكوينهم وحاجاتهم، ويلتزم تعلياتهم.

فالدين الذي يخالف الطبيعة الإنسانية أو لا يلبي ما تطمح إليه، لاشك بأنه سوف يهزם وسيكون مصيره الفناء.

إنَّ الله سبحانه وتعالى عندما شرع الأديان- الشرائع-، راعى فيها موافقتها للطبيعة الإنسانية- والا لحصل التناقض بين أمر الله التكويني وأمره التشريعي، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، وجعلها ملبة لجميع حاجات الإنسان. والدين الإسلامي كواحدٍ من هذه الأديان- لا بل هو ذروة هذه الأديان- نظر إلى المسائل الآتية كجواب ثابتة في شخصية الإنسان، وجواب عن تعليماتها، وهذه المسائل هي:

أ. علاقة الإنسان بالله.

ب. علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

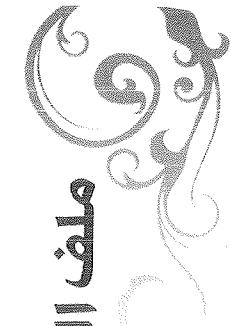
ج. علاقة الإنسان بالطبيعة.

ففي الإسلام توجد القوانين التي تلامِ حياة الإنسان وعلاقاته الثلاث المتقدمة التي يستمر هذا الدين خالداً إلى الأبد.

ونظام العبادات في الشريعة الإسلامية يمثل أحد أوجهها الثابتة التي لا تتأثر بطريقة الحياة وظروف التطور المدني في حياة الإنسان إلا بقدر يسير^(٢)- مثل أنَّ الحجاج كانوا يذهبون فيما مضى

(١) نفس المصدر، ص ١٧٩.

(٢) وهذا دفع للإشكال الذي يمكن أن يقعد في ذهن البعض، أنه كيف يمكن لأي دين أن يستمر على جموده- في مسألة العبادات- رغم تطور الحياة. فالجواب هو: إنَّ تطور الحياة في جانب العلاقة مع الطبيعة لا يعني إلغاء دور العبادات، فهي ليست علاقة بين الإنسان والطبيعة لتتأثر بالتطور وإنما هي علاقة بين الإنسان وربه.



إلى مكة عبر الحمال، أما الآن فعبر الطائرات...»

إن نظام العبادات في الإسلام يعالج حاجة ثابتة في حياة الإنسان حُلقت معه وظلت ثابتة في كيابه، فالعلاج بصيغة ثابتة يفترض أن الحاجة ثابتة، وال الحاجة الأساسية التي تُشبعها ظاهرة العبادة هي مسألة الارتباط بالمطلق - الذي هو الله عَزَّوجَلَّ -، لكي يكون تقدم الإنسان إلى الإمام بشكل لا محدود، والعبادات هي التعبير العملي عن هذا الارتباط بالمطلق.

يقول الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، في حكمة العبادة وعلتها: «لئلا يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه، إذا كان فيه صلاحهم وقوامهم، فلو تركوا بغير تعبد لطال عليهم الأمد فقسّت قلوبهم»^(١).

- بعض الملامح لنظام العبادات في الإسلام:

أ. الجانب الغيبي لأنّ العبادات فأكثر العبادات نرى فيها الكثير من التفاصيل التي لا نعي مغزاها وعيًا دقيقاً.

وتعتبر هذه السمة من أبرز ما يميّز العبادات، والنكتة هنا هي أنّ العبادات إذا ظلت في هذا الإطار الغيبي فسيكون جانب الانقياد فيها أكبر من حالة كشف تفاصيل العبادة. فالعبادات دورها تعميق الصلة بين العبد وربه، وكلما كان جانب الانقياد أكبر، كان أثراها في التعميق أكبر.

ب. شمولية نظام العبادات بمعنى أنه يشمل مختلف جوانب الحياة الإنسانية، فمن ناحية توجد بعض العبادات التي تكون فقط بين العبد وربه كالصلوة (بعض النظر عن صلة الجماعة...)، وبعض العبادات فيها جانب اقتصادي كالخمس، وبعض العبادات فيها جانب اجتماعي كالجهاد.

ج. الجانب الحسي في العبادات: فإنه يوجد في الإنسان جنبتان، جنبة روحية وجنبة حسية، ويجب على الإنسان أن يوازي بين هاتين الجنتين، بأن يراعيهما كلّاهما.

وفي نظام العبادات لم يُهمل الجانب الحسي في الإنسان، بل إننا نرى وجود بعض الأشياء الحسية في العبادات، كتوجهنا إلى الكعبة المشرفة حالة الصلاة، أو طوافنا حولها في الحج...»

(١) ميزان الحكم، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٢٦٩.



الإسلام دين الله الخاتم

الإسلام والاقتصاد

المشكلة الاقتصادية لم تكن في يومٍ من الأيام مشكلة قائمة بذاتها، بل هي جزءٌ من المشكلة الإنسانية العامة.

وقد اختلفت التفاسير حول هذه المشكلة، فالرأسمالية تعتبر أن المشكلة الاقتصادية تمثل في قلة الموارد الطبيعية، بينما الماركسية تؤمن بأن المشكلة الاقتصادية تمثل بالتناقض المستمر بين الشكل والنظام الذي يتم به الإنتاج في المجتمع وبين نظام التوزيع الذي هو النظام الاجتماعي والذي بواسطته يتم تقسيمه وتوزيع الثروات المنتجة.

أما الإسلام فلم يفسر المشكلة الاقتصادية على النحوين السابقين، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْمُرْبَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَنَّا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُخْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ - إبراهيم: ٣٢-٣٥.

فال المشكلة الاقتصادية تكمن في الإنسان نفسه من كفره للنعم وسوء استغلاله للموارد الطبيعية.

- بعض مزايا الاقتصاد الإسلامي:

أ. الواقعية، فهو يلحظ الطبيعة الإنسانية ونوازعها و حاجاتها ويستهدف تحقيقها بأفضل السبل وأيسرها.

ب. الأخلاقية.

ج. ربط المصالح الاجتماعية بالدافع الذاتية.

- المبادئ العامة للأقتصاد الإسلامي :

أ. مبدأ الملكية المزدوجة، والذي يعني الملكية بأشكالٍ متعددة هي: الملكية الخاصة وملكية الدولة الإسلامية والملكية العامة.

ب. مبدأ الحرية الاقتصادية المحدودة، فالاقتصاد الإسلامي أعطى للأفراد حرية العمل الاقتصادي، بحدود القيم والضوابط الشرعية التي يدعو إليها انسجاماً مع الأهداف الإلهية في حياة الناس.

ج. مبدأ العدالة الاجتماعية، من خلال تحديده لفكتين: التكافل الاجتماعي والتوازن الاجتماعي الذي يعني نفي الطبقية في المجتمع على صعيد المعيشة مع بقاء باب الإثراء مفتوحاً ضمن الحرية الاقتصادية المحدودة.

د. مبدأ العمل أساس الملكية والحقوق الاقتصادية.

هـ. مبدأ تنمية الإنتاج، يقول الله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَلَا يُنْهَوْا﴾ -آل عمران- ١١٥.

وممّا لا بد من التنبيه إليه، أنّ الهدف من تنمية الإنتاج في الإسلام هو أن ينتفع الإنسان من خلال السيطرة عليه ليرقى في وجوده ويؤدي رسالته في إقامة العدل والکدح نحوه تعالى.

- مصادر الإنتاج وموقف الإسلام:

أ. الأرض، ولقد أبدى السيد الشهيد محمد باقر الصدر رض، محاولة فقهية هامة، مفادها أن المبدأ في الأرض هو ملكية الدولة الإسلامية وإلى جانبه حق الإحياء بدون استثناء.

بـ. الموارد الأولية، وهي من الأموال العامة.

جـ. المياه الطبيعية.

دـ. الثروات الطبيعية الأخرى، وهي من المباحات العامة التي تملك بالعمل والحيازة.

- مسؤولية الدولة في الاقتصاد الإسلامي:

أـ. الضمان الاجتماعي من خلال التكافل العام، والحق العام في ثروة الدولة والذي يفرض عليها إعالة المحجاجين وكفایتهم.

بـ. التوازن الاجتماعي بمكافحة الفوارق والتناقضات الاجتماعية الفادحة. وإن هذا التوازن لا يعني توازناً بين أفراد المجتمع في مستوى الدخل وامتلاك الثروة، بل المطلوب التوازن في مستوى المعيشة الذي يقضي على التناقضات الفادحة التي نراها في المجتمعات الرأسمالية.

الإسلام دين الله الخاتم

تعامل الإسلام مع العرف

- يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعِرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيَّنَ»
الأعراف ١٩٩ -

العرف هو ما يعرفه عقلاً المجتمع من السنن والسير الجميلة الحاربة بينهم، بخلاف ما ينكره المجتمع وينكره العقل الاجتماعي من الأعمال النادرة والشاذة.

«والعرف في نظر فقهاء القانون الوضعي هو اعتقاد الناس على سلوك معين في ناحية من نواحي حياتهم الاجتماعية بحيث تنشأ منه قاعدة يسود الاعتقاد بأنها ملزمة وواجبة الاحترام قانوناً وأن مخالفتها تستتبع توقيع جزاء مادي»^(١).

والإسلام بوصفه الدين الخاتم، جاء موافقاً لعقلاء المجتمع في كثير من الحالات، فالشرعية الإسلامية لم تأتِ لكي تنسف ما قبلها وإن كان صحيحاً وحسناً، بل جاءت لكي تسير المجتمع البشري في المسار الصحيح، وبما أن هذا المجتمع يضم الكثير من السير الصحيحة كمعاقبة الكاذب والسارق وإيتاب المحسن... فلذلك لم يبدل الإسلام هذه السير، بل ضبطها وقنتها بما يناسب المسار العام لهذه الشريعة.

ولكته، ليس من الصحيح أيضاً أن يوافق الإسلام على كل ما يوجد في المجتمع من عادات وتقاليد وإن كانت خطأ، فهذا يخالف الحكمة من تشريع الإسلام، فمثلاً: العرب في عصر الجاهلية كانوا خاضعين لمجموعة من الأعراف متبعة من طبيعة مجتمعهم ومن عاداتهم القبلية ومعتقداتهم الدينية، فجاءت الشريعة الإسلامية وانتقضت من سلطان العرف، سواء بمنع بعض العادات- كعادة وأد البنات، أو بتحوير وتعديل البعض الآخر، قام الدين مصدر رسمياً للقانون.

وأحد الأركان الأساسية للقرآن الكريم أنه كتاب تغيير، فلا بد له من أن يبدل الكثير من العادات الموجودة في المجتمع لكي تتم الغاية من إزالته وجعله هداية للعالمين.

علاقة الإسلام مع بقية الأديان

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقْاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبْرُوْهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوْلُوْهُمْ وَمَن يَتَوَلُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
المتحنة ٨، ٩ .

دعا الإسلام إلى وحدة المجتمع البشري، وإقامة العدالة فيه بين مختلف الفئات ومهمما كانت ديانتهم تحت شعار الوفاق بين الجميع للرقي إلى الأمام^(١).

لذلك، فهو لم يفرق بين الشعوب المختلفة، ولم يظلم أحداً مهما كانت ثقافته أو ديانته، بل أنه وفي ظلّ الدولة الإسلامية نجد ذلك التعامل السوي مع جميع الناس بما يضمن الحفاظ على حقوقهم. فـ«لا يوجد أي فرق في الإسلام بين فئات الشعوب المختلفة. وإن حقوق جميع الشعوب محفوظة في الإسلام. فحقوق المسيحيين قد روعيت، وكذلك حقوق اليهود والزرادشتيين، وبعتبر جميع أفراد العالم بشرأ، ولهم حق الإنسانية. وينظر لجميع الناس بمنظار المحبة، ويريد إنقاذ عالم المستضعفين»^(٢).

ففي الدين الإسلامي توجد الحرية، الحرية في اختيار أي دين: «الإكراه في الدين» - القراءة ٢٥٦-. والإسلام لم يجرأ أحداً على اعتناقه، بل أن كل ما فعله المسلمين في البلاد التي فتحوها أنهم طلبوا من أهلها الجزية كما طلب من أتباعه أن يدفع الخمس... وأعطوا للجميع حقوقهم المدنية وقادوهم بالسوية، حتى أن الأمير عاصم^{عليه السلام} قال في قضية سلب الخلخال من قدم تلك المرأة الذمية، والتي كانت يهودية بأنه للمرء أن يموت في ذلك. فـ«إننا نحترم الأقليات الدينية، وإنهم أبناء شعبنا، وأهل بلادنا، وإنني آمل أن تكون حكومة العدل الإسلامي حيدة جداً لهم، وأن يعيشوا هنا في ظل الإسلام حياة مرفهة وحررة وسليمة»^(٣).

وفي ظلّ الحكومة الإسلامية يتحقق لجميع الطوائف الدينية أن تمارس طقوسها الدينية بسلام ومن دون أن يتعرض أحد لها، فالجميع لهم تلك الحرية.

فدعوة الإسلام كانت تصب في مصلحة الاحترام المتبادل بين المسلمين وغيرهم، ولم يعارض الإسلام إقامة العلاقات التجارية مع الآخرين، أو تبادل الخبرات والعلوم معهم، بل أنه دعا إلى ذلك الشيء، بما يخدم المجتمع والحضارة الإنسانية للرقي إلى الأمام.

ولكن لا بد من الالتفات إلى ملاحظة هامة، بأنه ومن منطلق الآية الكريمة مطلع البحث،

(١) «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سوأ بيننا وبينكم لا تبعدوا إلا الله ولا نشرك به شيئاً لا يخدع بعضاً أرباباً من دون الله» - آل عمران ٦٤ -.

(٢) منهاجية الثورة الإسلامية، مقتطفات من أوراق وأراء الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط١ ص٢٦.

(٣) منهاجية الثورة الإسلامية، المصدر السابق، ص٦٢٤.

الإسلام دين الله الخاتم

لابد من التفريق بين الطائفتين اللتين تحدثت عنهما الآية- الطائفة السلمية والأخرى المحاربة. فالقرآن الكريم لم ينه المسلمين عن الطائفة الأولى، بل دعا إلى إقامة القسط معهم، مما يضمن الاحترام المتبادل بين الشعوب وال الحوار السليم بين الحضارات، لأنهم لم يحاربوا الدعوة الحقة، فالمفترض من المسلمين أن يبادلهم هذا الشيء. أما الطائفة الأخرى، وبما أنهم حاربوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، فمن المنطقي - وهذا ما يؤيده العقل الإنساني- أن يعاملهم المسلمون بالمثل، ولا يحق للMuslimين أن يتولوهم، وهم الذين سعوا للقضاء على الإسلام.

الإسلام والعقل

يعتبر العقل من أهم النعم الإلهية على بني الإنسان، فمن خلاله يتدارس الإنسان في أمور معيشته وفيما يهمه، وبه يصل الإنسان إلى أعلى مراتب العلم، وبه تحصل الاكتشافات، فكيف تعاطى الإسلام مع العقل الإنساني؟

هناك العديد من الآيات القرآنية تحدثت عن العقل والعلاقين- أولي الألباب- فمدحthem لأنهم استعملوا عقولهم في الوجهة الصحيحة له.

وجاءت الروايات الشريفة لتأكيد القرآن في هذا المجال، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «يا هشام، ما قُسم بين العباد أفضل من العقل؛ نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل...»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أذير فأذير، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك، إياك أمر وإياك أنهى، وإياك أثيب وإياك أعقاب»^(٢).

ولكن كثرت الآراء والجدالات حول العقل، ومدى إدراكه، ومدى صحة الاعتماد عليه، وحول هل أنه يمكن أن يحصل عدنا اليقين في القضايا والعلوم من خلال العقل، وغير هذه من المسائل.

فترواحت الآراء بين الإفراط والتفرط.

أما المسلمين، فإنهم أيضاً كانوا بين إفراط وتفرط في هذه المسائل. فأبو حنيفة- صاحب أحد المذاهب الإسلامية الخمسة- وصل إلى حد التطرف في الاعتماد على العقل، ومن خلاله كان يفتني في الكثير من المسائل الفقهية، بالشكل الذي قلّماً ما كان يعتمد فيه على الأخبار والأحاديث. أما أحمد بن حنبل- الذي هو أيضاً أحد أصحاب المذاهب الفقهية- فكان جاماً للغاية في التعامل مع

(١) ميزان العدالة، مصدر سابق، ج ٧، ص ٢٦٩١.

(٢) نفس المصدر، ج ٧، ص ٢٦٩٢.

العقل

بالمقابل، المدرسة الإسلامية الوسطى- مدرسة أهل البيت عليه السلام- وبما يتميزون من أصالة واستقلالية، كانوا طريق الاعتدال في هذا المجال، فقد حاربوا عليه السلام القياس بشدة، وقولهم فيه مشهور: «الشريعة إذا قيست مُحققت»، ولم يقولوا عليه السلام مثل ما قال ابن حنبل، بل أعطوا عليه السلام للعقل دوره.

والمقصود بالعقل هنا- في مدرسة أهل البيت- هو الطريق الوسط بين الجهل والجمود.

فلا جمود أحمد بن حنبل ينبغي أن يطغى على التفكير الإنساني، ولكن لا يعني هذا أن يسرح كيما يشاء، بل له قانونه الذي لا يتعداه، وحدوده التي لا يتجاوزها، إذ لا يمكن اعتبار كل رأي حجة بذرية أنه صادر عن العقل.

أما إذا تحدثنا في المجال الفلسفـي عن العقل، فقد كثـر الحديث حول دور العقل في الميتافيزيقيات، فكانـت على سبيل المثال لم يستطـع تجاوز التناقض الذي طرحتـه، حيث إـنه يرى بأنـ العقل لا يـستطيع أنـ يـغوص في المجال الميتافيزيـقي.

فأخذـ العلمـاء في الغـرب يـتخبطـون حول منهـجـية التـفكـير العـقـلي ومـدى إـدراكـه، بـالمـقـابل فإنـ المـدرـسة الإـسلامـية تـعـرـف بـحجـية العـقـل وـثـبوـتها شـرعاً، ولـكـنـها حـجـية لـهـا حدـودـها فيـ المـيدـان المـيتـافـيـزـيـقيـ. وـقـوة عـقـلـانـيـة الـفـلـسـفـة الإـسلامـيـة تـكـمـنـ فيـ وـعيـها وـعيـاً تـعـبـدـياً بـنـسـبـتها أـمـامـ إـطـلاقـيـة الـدـينـ، وـمـنـ خـالـلـ هـذـا الـوعـيـ يـتـمـ تحـصـيلـ الـمـعـارـفـ المـيتـافـيـزـيـقـيـةـ منـ خـالـلـ العـقـلـ أـكـثـرـ فـاكـثـرـ.

الإسلام دين الله الخاتم

الخاتمية وأصولها

خاتمية الإسلام

مسألة ختم النبوة من المسائل التي أخذت نقاشاً واسعاً بين العلماء والمفكرين، وتستند أهمية هذه المسألة إلى أنها تعني انقطاع وحي السماء عن الأرض بعد رحيل خاتم الأنبياء، وبالتالي فهناك تطور بارز قد حصل على صعيد العالم.

يقول المفكرون إن الإنسان يتدرج ويرتقي نحو الأمام، أي أن طريقة تفكيره وعلاقته الاجتماعية... في تقدم مستمر، فإن إنسان عصر النبي إبراهيم ﷺ، لم يكن في مستوى إنسان عصر النبي عيسى ﷺ... إن الشرائع السماوية لم تكن كلها مثل بعض، بل أنها تدرجت في الشمولية وما تحمله في طياتها إلى عصر النبي ﷺ، حيث وصل إنسان عصره ﷺ إلى مستوى يستطيع معه أن يتلقى دعوة خاتم الأنبياء ﷺ الشاملة والخاتمة.

وإن الأنبياء، مع كل الاختلافات الفرعية كانوا حملة رسالة واحدة، أتباعاً لمدرسة واحدة.. وقد عرضت هذه المدرسة تدريجياً حسب قابلities المجتمع الإنساني إلى الحد الذي وصلت فيه البشرية بحيث عرضت المدرسة كاملة جامعة، وعندما وصلت إلى هذه النقطة كان ختم النبوة.

فالبشر في عصر النبي محمد ﷺ كان عليهم أن يواجهوا مأساة انقطاع الوحي بعد الرحيل، وكان عليهم أن يحملوا عبأ الرسالة الخاتمة. ولكن رغم الانقطاع، لم يترك النبي ﷺ الناس بضياعون في ظل وجود من يطمع بالحكم والسيطرة، بل أنه نصب من هو أهل لحمل أعباء الرسالة بعد رحيله ﷺ. ومن الآيات القرآنية التي تدل على ختم النبوة: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** - الأحزاب: ٤٠.

ولكن أثيرت الشبهات حول هذه الآية ودلائلها على الخاتمية، ومن هذه الشبهات ما أثارته فرق البهائية الضالة من أنّ معنى الخاتم الوارد في الآية هو الخلية التي تُلبس في الإصبع!!!
ويرد على هذه الشبهة أنه لم تتعهد استعارة الخاتم في مصطلح العرف للشخص، لغاية الزينة.
ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمْ إِسْلَامَ دِيَّنَكُمْ﴾**، فلا معنى لنبوة جديدة بعد إكمال الدين والرضا به.

- شبهة حول الخاتمية :

كيف يدعى المسلمين انغلق بباب النبوة والرسالة مع أن صريح كتابهم قاض بانفتاح بابه إلى يوم القيمة، ذلك قوله سبحانه: **﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يُأْتِيْنَكُمْ رُشْلَ مِنْكُمْ يَقْصُّونَ عَلَيْكُمْ أَيَّاتِيَ فَمِنْ أَنْتَيَ وَأَصْلَحَ**

فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ -الأعراف-

وهذا الخطاب الوارد في القرآن الكريم، النازل على قلب سيد المرسلين ينبع عن مجيء الرسول بعد نبي الإسلام، وبدل بظاهر قوله: ﴿يأتِيَنَّكُم﴾ الذي هو بصيغة المضارع، على أن باب النبوة لم يوصد وأنه مفتوح بعده، ومعه كيف يدعى المسلمين أنّ محمداً خاتم النبيين وكتابهم يشهد على خلاف هذا الكلام؟

والجواب عنه: إنّ الحديث في الآية الكريمة جاء مع البشر منذ آدم ﷺ كما في كثير من الخطابات القرآنية التي جاءت وفيها الخطابات الدائرة بين الأنبياء وطواقيت عصرهم بصيغة المضارع.

فنخرج من هذا البحث بنتيجة مفادها: أن تطور الفكر البشري وصل في مرحلة من المراحل إلى القدرة على حمل الرسالة السماوية الخاتمة والتي تشتمل على كلّ ما يحتاجه البشر، فلم تعد هناك حاجة إلى رسالة جديدة، بل الحاجة إلى وجود من يقود البشر ويبين لهم معالم دينهم، وهذا متوفّر في الخلفاء الإثني عشر عليهم السلام للرسول الأكرم ﷺ.

شمولية الإسلام

- إذا أرادت شريعة ما الخلود والدوام فلابد لها من أن تجib عن كلّ ما يحتاجه الناس في الأمور المادية أو المعنوية.

فمطالب الناس كثيرة بحيث يصعب على قانون أو دستور ما أن يتماشى معها ويوضع لها الحلول ويلبي تطلعاتها، ولذلك نرى انهيار العديد من الدول ودستورها بسبب عدم إجابتها على الحاجات الإنسانية ونحن نرى بأم أعيننا انهيار الشيوعية إحدى أقطاب العالم، وتزعزع الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية في الغرب الاستكباري.

وعندما نطرح الدين الإسلامي كدين خالدٍ وعالمي، لابد لنا من تبيين شمولية هذا الدين وسعته المحيطة بما يحتاجه البشر.

ولكن، إننا طبعاً لا نقصد من الشمولية هنا أنّ الدين الإسلامي له نظريته وتصوراته في كلّ العلوم وال المجالات، فهو ليس موسوعة علمية أنت لحلّ مسائل الرياضيات والفيزياء والكيمياء... أو دائرة معارف كبيرة، بل أنّ الإسلام، شموليته ترتبط مباشرة بمنهج حياة الإنسان وحضارته الاجتماعية، والقرآن الكريم الذي هو بمثابة الدستور للدين الإسلامي

الإسلام دين الله الخاتم

اختصر بعض علمائنا بكلمتين: هو كتاب هداية وتغيير- لا أكثر.

وشمولية الإسلام تعني أنه وضع الخطوط العريضة لكافة الحاجات الحياتية على مر العصور، وعلى العلماء والمفكرين أن يجتهدوا في هذا الدين كي يوضحوا مراده من المسائل المختلفة. وهذا يأتي بعد مصاب البشرية بغبة المعصوم الأخير من أهل بيته الطهارة، وإنما هو الموضح لهذا الدين والسائل بالبشرية من خلال هذا الدين إلى كمالها المفروض لها.

«وَحِينَما نَقُولُ إِنَّ الْإِسْلَامَ يَسْتَوْعِبُ كُلَّ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَفْهُومًا أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَتَنَاهُ عَنِ الْأَخْطَوْطَ اِعْرِيَّةً كَافِيَّةً لِرَسْمِ مَنْهَجِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

الإسلام يعطي النظرية، وعلى الفلاسفة والباحثين أن يدرسوها ويتحققوا فيها»^(١).

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: «وَتَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^(٢)- النحل.-٨٩.

فالقرآن الكريم وأهل بيته صلوات الله عليه وآله وسلامه - الذين هم قادة الإسلام - لم يدعوا صغيرة أو كبيرة إلا بيّنوها، لكي يضمنوا سعادتها، وإن نظريات الإسلام من حيث الانسجام والكمال والشمول والاستيعاب لجميع الجوانب الروحية وكل جوانب الحياة، لا مثيل لها فيما توصلت إليه البشرية لحد الآن، فهي تشمل على كل ما يضمن السعادة والخير للناس والله سبحانه وتعالى، ما خلق الخلق إلا ليصلوا إلى الفلاح، فلذلك وضع في هذا الدين كل ما يصلح لحل المشاكل البشرية- الروحية منها والمادية-.

والدليل على ما تقدم هو ثبات هذا الدين وزيادة أتباعه والنظرية الإيجابية للعلماء من مختلف الأديان اتجاهه^(٣)، وما قيام الجمهورية الإسلامية في إيران بقيادة محيي هذا الدين من جديد- الإمام الخميني رض- إلا تأكيداً على قدرة هذا الدين في مجال قيادة البشرية إلى الأمان.

(في سنة ١٩٥١ م عينت كلية الحقوق في باريس أسبوعاً لدراسة الفقه الإسلامي، وانتهى أسبوع المؤتمر الخاص بالفقه الإسلامي وقد أصدر هذه الوثيقة:

«مَمَّا لَا شَكَ فِيهِ أَنَّ الْفَقِهَ الْإِسْلَامِيَّ يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَنَابِعِ التَّشْرِيفِ فِي الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ، فِي الْأَرَاءِ وَالْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ لِمَذَاهِبِ الْفَقِهِ الْإِسْلَامِيِّ رَصِيدَ حَقْوَقِيِّ وَافِرٌ وَعَجِيبٌ. إِنَّ إِيمَانَ الْفَقِهِ الْإِسْلَامِيِّ فِي ظَلِّ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالْأَقْوَالِ أَنْ يَجِيبُ عَلَى جَمِيعِ حَاجَاتِ الْحَيَاةِ الْحَدِيثَةِ»^(٤). ولابد أن تلتقت- عزيزي القارئ- إلى نقطة هامة، وهي أن الدين الإسلامي وعلى الرغم من نصوصه التي وردت

(١) الله بين الإيمان والإلحاح، الله في التصور الإسلامي، السيد صدر الدين القبانجي، دار التعارف، لا ط، ص ٢٦.

(٢) وهذا ما سنبينه قبل نهاية البحث إن شاء الله تعالى.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، السيد مجتبى الموسوي الاري، دار الأمير، لا ط، ص ٤٧-٤١.

منذ أكثر من ألف سنة، إلا أن ذلك لا يعني جموده وبالتالي عدم إجابته على الحاجات المستجدة للبشرية، بل هو ذلك الدين المرن والذي يقبل على الدوام التجديد والحركة. وما مباحث الاجتهداد ومنطقة الفراغ التشعيعي والثابت والمتحير التي سوف تقرأها بعد قليل إلا دليل غاية في الوضوح على صحة مدعانا من مرونة هذا الدين وتماشيه مع كل ما يستجد من حاجات ومشاكل تطرأ بين حين وآخر.

«وكذلك المبادئ والأصول الرئيسية للفقه والتشريع الإسلامي، فيها صفة الشمول والعموم لحياة الإنسان في كل البيئات والعصور، وفي الوقت نفسه تتصرف بالثبات والدوام، ولكن لا بمعنى الجمود والتجدد، بل بمعنى دوام الحركة والنمو، وأصالحة الخير والصلاح الذي لا يزول عن طبيعة تلك القيم والأصول. أما التغيير فهو في التفريع والتطبيق تبعاً لأساليب المعيشة والحياة»^(١).

العالمية الإسلام

- من مميزات الدين الإسلامي الخاتم هو أنه رسالة عالمية، وهو ما ينبغي أن يتصرف به الدين الخاتم، إلا لاحتاجنا لرسائل جديدة في المناطق التي لا يشملها هذا الدين. فالإسلام، جاء ليكون لكل العالمين دستوراً للحياة، ومن خلاله تستكمل مسيرة التقدم والرقي الإنسانيين.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا أَلِّي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» - الأعراف - ١٥٨.

فنبي الله محمد ﷺ رسول إلى كل الناس، ليس إلى منطقة دون أخرى. ويقول تعالى أيضاً: «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» ... الأعاصم - ١٩.

فكل من بلغه القرآن الكريم، يكون بمثابة الدستور المقنن لحياته.

ويقول تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ» - سباء - ٤٨.

ويقول تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَنْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» - في مطلع سورة الفرقان -



(١) الإسلام بنظرة عصرية، الشيخ محمد جواد مقنفي، دار العلم للملايين، ط٢، ص٣٨.

الإسلام دين الله الخاتم

ويقول تعالى أيضاً: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ» - الأنعام٢٩.

- شبهة ودفعها :

تبقى هناك شبهة على عالمية الإسلام طرحها اليهود وبقية الأديان، إضافة إلى بعض المستشرقين، بأن الإسلام جاء إلى مكة ومن حولها فقط، وهذا ما يؤيده القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» - سورة الشورى٧-.

ويقول تعالى أيضاً: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» - النعام٩٢-.

فكيف ينسجم قول المسلمين بعالمية الإسلام، وأنه جاء لكافة البشر، مع هاتين الآيتين اللتين تصرحان بمحدودية الإسلام ليشمل مكة وما حولها فقط؟

الجواب:

إن كلمة أم القرى تعني مكة، وحل هذه المشكلة: بأن الروايات الإسلامية تصرح بأن الأرض كانت في البداية مغطاة بالماء، ثم بدأت اليابسة تظهر تدريجياً إلى أن وصلت على ما هي عليه الآن وهذا ما تؤيده النظريات العلمية. وتقول الروايات بأنه أول ما ظهر من اليابسة هو الكعبة وبدأت اليابسة تتسع - وهذا ما يسمى بيوم دحو الأرض. فمكة هي الأساس لما حولها.

ثم أنه يوجد رد آخر، وهو أن الدين الإسلامي يبلغ تدريجياً، فبداية كانت الدعوة للمقربين من الرسول، ثم لأهل مكة... وهذا ما تتلاءم معه الآية الكريمة موضع البحث.

- بعض المؤيدات لعالمية الإسلام :

مما يؤيد عالمية دعوة الإسلام هو تلك الرسائل التي أرسلها رسول الله ﷺ إلى ملوك العالم، ومنها إلى المقوس حاكم مصر والذي كان نصرانياً، وإلى قيسار الروم...

وممّا جاء في رسالته إلى المقوس: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَقْوِسِ عَظِيمِ الْقِبَطِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدِيِّ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَائِيَّةِ إِلَيْهِ إِلَيْكَ أَنْ تَسْلِمَ، أَسْلِمْ تَسْلِمْ، يَوْمَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَنْ، إِنْ تُولِّيَتْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبَطِ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ...»^(١).

ومثله ما جاء في رسالته إلى قيسار الروم.

(١) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البغثة، ط١، مج٢، ص٤٠٥.

حركة الاجتهداد في الدين الإسلامي

- كامتداد لحركة مواكبة الدين الإسلامي للتغيرات الزمان ومتطلقاته، ومن منطلق استيعاب هذا الدين لكل ما يتطلبه العصر، انطلق عند المسلمين منذ عصر المعمصومين ما يسمى بعملية الاجتهداد.

والاجتهداد يعني أن يستنبط الفقيه العالم الأحكام الشرعية من المدركات التي وضعها الدين الإسلامي بما يواكب حركة العصر.

- لمحة تاريخية لعملية الاجتهداد:

رأيت من المناسب هنا أن أفصل بين المذهبين الإسلاميين - أهل العامة وشيعة أهل البيت عليهم السلام - لوعي حركة الاجتهداد الوعي المناسب.

فبعد مدرسة أهل العامة والتي تحوي تحت جناحها الأغلبية الساحقة من المسلمين، تجمدت - عندهم - حركة الاجتهداد منذ مئات السنين، مما سبب لهم الكثير من المشاكل في التعاطي مع الحياة، وفي تقديمهم الدين الإسلامي كحل للمشاكل الإنسانية، حتى اضطر البعض منهم أخيراً أن يقر بعملية الاجتهداد، واضطرب غيرهم أن يمارس الاجتهداد عملياً وإن كان لا يعترف به نظرياً.

أما عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد أقر الاجتهداد من قبلهم عليهم السلام، وكانت هذه الظاهرة موجودة في الوسط الشيعي في زمن حضورهم عليهم السلام، بسبب عدم الاتصال المباشر بهم عليهم السلام، وللترغيب الذي كان يمارسه الأئمة عليهم السلام بحق أكبر أصحابهم لفتياً والجلوس لأمر الفتوى بين الناس، وبسبب وجود ظاهرة التعارض في النصوص، والدليل على هذا وجود الاجتهداد في عصرهم عليهم السلام - ما نشاهده في تلك النتاجات العلمية لأصحابهم عليهم السلام بعلم أصول الفقه.

- هدف الاجتهداد:

«أظن أننا متفقون على خطٍ عريض للهدف الذي تتواخاه - حركة الاجتهداد وتتأثر به، وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الإسلامية للحياة، لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدّد حركة الاجتهداد معالم النظرية وتفاصيلها»^(١).

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر، الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهداد، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١١، ص ١٤ - ١٥.

الإسلام دين الله الخاتم

إذاً فهدف الاجتهاد هو وضع الدين كأساس لتعاطي الإنسان مع التطورات والتبدلات. فالدين، ورغم ثبات الكثير من قواعده ونطاقه يستطيع بما يحتوي من مرونة الاجتهاد أن يواكب الزمن، ولكن لا ينبغي أن تنطلق عملية الاجتهاد من مبدأ تكيف الإسلام حسب متطلبات العصر، بل تكيف العصر حسب متطلبات الإسلام، أي أنه لا يجوز أن تجري على الدين الإسلامي عمليات إسقاط التي شاهدتها من بعض الذين يدعون العلم، بل ينبغي أن يكون الدين الإسلامي هو الرائد في عملية قيادة المجتمع.

إذاً، فمدرسة أهل البيت قدمت الاجتهاد كركنٍ أساسيٍ في عملية قيادة الدين الإسلامي للمجتمع ولوضع الحلول أمام المشاكل الإنسانية المستجدة على مرّ التاريخ، مما أتاح للفقهاء أن يقودوا المجتمع الشيعي للتقدم به إلى الأمام، وهذا ما شاهده جلياً اليوم في الثورة الإسلامية المباركة في الجمهورية الإيرانية.

- ملاحظة:

ولكن لا بد من الالتفات إلى هذه النقطة، وهي: «أن حركة الاجتهاد عند الإمامية قاست منذ ولدت تقريباً عزلاً سياسياً عن المجالات الاجتماعية للفقه الإسلامي نتيجة لارتباط الحكم في العصور الإسلامية المختلفة وفي أكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند الجمهمور».

وهذا العزل السياسي أدى تدريجياً إلى تقليل نطاق الهدف الذي تعمل حركة الاجتهاد عند الإمامية لحسابه، وتعمق على الزمن شعورها بأن مجالها الوحيد الذي يمكن أن تتعكس عليه من واقع الحياة وتستهدفه هو مجال التطبيق الفردي، وهكذا ارتباط الاجتهاد بصورة الفرد المسلم في ذهن الفقيه لا بصورة المجتمع المسلم»^(١).

ولكن، وعند انتصار الثورة الخمينية المظفرة تبدلت هذه النظرة كلّياً، وأصبحت الشعوب الإسلامية تستعيد الثقة بقدراتها، وبأهلية الدين الإسلامي لقيادة العالم.

(١) المصدر السابق، ص ١٥.

منطقة الفراغ التشريعي

- نحن نعلم بطبيعة الحال أن الحاجات الإنسانية تتبدل وتتغير من زمنٍ لآخر على مختلف الأصعدة.

إذا أراد نظام ما إدارة المجتمع الإنساني لابد له من الالتفات لهذه المسألة والإسلام بصفته دين الله الخاتم لم يغفل عن هذه النقطة، فهذا الإسلام الطامح لحكومة المجتمع، ولكونه الدين الشامل لكل ما تحتاجه الإنسانية، والعالمي الشامل يشمل كل الشعوب، ترك فراغاً في منظومته التشريعية، بحيث إنه يستطيع من خلال مرونته تلك أن يلبي مختلف الحاجات الإنسانية.

وإذا أردنا أن نضع تعريفاً لمنطقة الفراغ التشريعي- أو بالأحرى، منطقة المرونة التشريعية - نقول: «إن منطقة الفراغ هي التي يكون أمر التشريع فيها إلىولي أمر المسلمين حسب الظروف والملابسات بالشكل الذي يراه مناسباً ضمن أطر التشريع العامة».

فإلا إسلام أعطى لولي الأمر حرية إصدار التشريعات والأوامر، ولكن ضمن نقاط أساسية وضعها الإسلام.

وال فكرة الأساسية لمنطقة الفراغ هذه، تقوم على أساس أن الإسلام لا يقدم مبادئه التشريعية للحياة بوصفها علاجاً مؤقتاً، أو تنظيمًا مرحلياً، يجتازه التاريخ بعد فترة من الزمن إلى شكل آخر من أشكال التنظيم وإنما يقدمها باعتبارها الصورة النظرية الصالحة لجميع العصور.

فكان لابد لإعطاء الصورة هذا العموم والاستيعاب، أن ينعكس تطور العصور فيها، ضمن عنصر متحرك، يمد الصورة بالقدرة على التكيف وفقاً لظروف مختلفة.

ولا تدلّ منطقة الفراغ هذه عن نقص في الصورة التشريعية، أو إهمال في الشريعة البعض الواقع والأحداث، بل تغير عن استيعاب الصورة، وقدرة الشريعة على مواكبة العصور المختلفة، لأن الشريعة لم تترك منطقة الفراغ بالشكل الذي يعني نقصاً أو إهمالاً، وإنما حددت لمنطقة أحكامها، بمنح كل حادثة صفتها التشريعية الأصلية، مع إعطاءولي الأمر صلاحية منحها صفة تشريعية ثانوية، حسب الظروف، ومن النقاط الأساسية التي وضعها الشرع الإسلامي.

الإسلام دين الله الخاتم

الثابت والمتحير في الإسلام

- من المسائل التي تؤكد مرونة الإسلام في التعاطي مع المجريات الحياتية مسألة الثابت والمتحير. فمسألة الثابت والمتحير في الإسلام تعبر عن أن هذا الدين جاء ليلبّي جميع الحاجات الإنسانية وفي كل الأزمنة، فهي تعني أن الإنسان منذ النبي محمد ﷺ إلى الآن تغير طريقة تعامله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي... بحسب الزمان أو المكان الذي يعيش به، فلذلك لابد على الشريعة الإسلامية بما تتصف من خلود أن تجاوب على كل الأسئلة والمشاكل الإنسانية.

ولكن من الإشكالات المطروحة أمامنا في الحديث عن هذه المسألة، هي أنه: أليس يقال بأن حلال محمد حلال إلى يوم القيمة، وبأن حرامه حرام إلى يوم القيمة؟ فما معنى الكلام في هذا الموضوع مع ثبات النص والأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنّة الشريفة؟

نقول: إن الأحكام في التشريع الإسلامي على نوعين: أحكام ثابتة لا تتغير، وهذه الأحكام شرعت متناسبة مع مختلف الناس في كل العصور، أي بما يواكب فطرة الإنسان وحقيقة، وما يستطيع الإنسان من خلاله أن يتلاءم مع الحياة ومتطلباتها على الرغم من ثباته، كمسألة قبح الظلم وهناك أحكام تتغير وتبدل بتطور الزمن وتقدم، فهي أحكام تقوم على المصلحة، لذلك فإنها عرضة للتغيير.

«من هنا فإن أحكام الإسلام تنقسم إلى ثابتة ومتغيرة.

فالقسم الأول منها يستند إلى طبيعة الإنسان وخصائصه التي تميزه عن سائر الموجودات.

أما القسم الثاني من الأحكام، فهي كما أسلفنا متغيرة بتغيير مصالح الناس في الأزمنة والأمكنة المختلفة. وهي منوطه برأي الحكم الشرعي الذي يشخص الاحتياجات ضمن إطار المصلحة الزمنية وفي ضوء الأحكام الثابتة للشريعة^(١).

إذًا، فالإسلام شرع هذه الأحكام بما يتلاءم مع مختلف المتطلبات الزمنية، وكمثال على ما تقدم: مسألة تشريع الإسلام للاستعداد للعدو: «وَاعْدُوهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...».

فالاستعداد للأعداء كان يتم فيما مضى من خلال التدرب على السيف والرمح والترس... أما الآن فينبغي على المسلمين أن يستعدوا من خلال التدرب على الطائرات والسفن الحربية.

فمسألة وجوب الاستعداد مسألة ثابتة مهما تبدل الزمن أو تغير، أما كيفية هذا الاستعداد وما هي آلياته ومتطلباته، فمتغيرة بما يقتضيه كل زمان أو مكان.

(١) الإسلام ومتطلبات التغير الاجتماعي، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الولاء، ط١، ص ٣٠ - ٢٩.



نظرة الآخرين إلى الإسلام

- نظراً لكون بحثنا موضوعياً، ينبغي علينا أن نتعرض قبل نهايته إلى مسألة نظرة الآخرين للإسلام. وبنظرية فاحصة إلى ما قاله الآخرون لا يبقى هناك شك عند أي متعدد في حقيقة هذا الدين وأرجحيته، كيف لا مع هذه الشهادات التي سنقدمها أمامك أيها القارئ العزيز.

يقول «برنارد شو» الكاتب الإنكليزي المشهور: «إني أكنّ كامل الاحترام على الدوام لدين محمد، بحكم ما يتمتع به هذا الدين من الحيوية المدهشة. وأنا أعتقد أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمتلك قدرة الانسجام والسيطرة على الحالات المختلفة والأشكال المتغيرة للحياة وإمكانية التطابق مع العصور المختلفة. أتنبأ، وتبدو ملامح هذا التنبؤ في الأفق بأنّ إيمان محمد سيكون مورد استقبال وإذعان الأوروبيين في الغد. لقد رسم رجال الدين في القرون الوسطى صورة مظلمة لدين محمد جراء الجهل أو التعصب، فقد أبدوه حادفاً ومعادياً للمسيح. لقد قرأت الكثير حول هذا الرجل - الرجل الخارق للعادة، وانتهيت إلى أنه لم يكن معادياً للمسيح فحسب، بل لأبد أن يدعى بـ«منقذ البشرية». وأنا على اعتقاد بأنّ رجلاً نظير محمد لو أستلم زمام الأمور في دنيا اليوم، فسوف يفلح بشكل مذهل على طريق حل مشكلات العالم المعاصر، بحيث تضمن البشرية تطلعاتها في السلم والسعادة»^(١).

الدكتور شibli شمیل کاتب لباني مادي الاتجاه، ولكنه رغم ذلك لم يكتتم إعجابه وتقدیره بالإسلام، ورسول الإسلام، ويمتدح الإسلام باستمرار بوصفه ديناً حياً، يحمل إمكانية التكيف مع تطورات الزمن. لهذا الكاتب مقال تحت عنوان: «القرآن وال عمران»، حررته ضمن فصول كتاب نشره باللغة العربية باسم «فلسفة النشوء والارتقاء». وقد كتب هذا المقال ردًا على أحد المستشرقين، الذين ساعوا البلاد الإسلامية، وذهب إلى أن الإسلام هو المسؤول عن انحطاط العالم الإسلامي. وقد سعى شibli شمیل في مقاله لإثبات أن المسؤول عن انحطاط المسلمين هو تجاوز تعاليم الإسلام الاجتماعية والانحراف عنها، وليس الإسلام مسؤولاً. وأن تلك الحفنة من المفكرين الغربيين، الذين يوجهون هجومهم صوب الإسلام، يدور أمرها بين حالتين: إما أنهم لا يفهمون الإسلام، وإما أنهم ينظرون على

(١) نظام حقوق المرأة في الإسلام، مصدر سابق، ص ٨٠-٨١.



الإسلام دين الله الخاتم

سودانية فيعمدون إلى تشويه التعاليم، التي انطلقت من أرض الشرق^(١). ويقول ديل دبورانت: «ليس هناك دين كالإسلام في دعوته لإعداد أتباعه إعداداً مقدراً. فقد أثبت تاريخ صدر الإسلام حجم اهتمام الإسلام باقتدار الأمة التي أراد أن يبنوها ويطورها»^(٢). ومن هؤلاء الكاتب الأسباني «بلاسكو أبيتير» الذي قال في كتابه «قيمة ظلال الكنيسة» ما لا يزيد عليه المسلم شيئاً من فضائل التاريخ الأندلسي، وبشيئه «جوزيف مكاب» باللغة الإنكليزية في مقارنته بين التواريخ الأوروبية والتاريخ الإسلامية، فلا يكاد يقارن بين شيتين تشتمل عليه التواريخ إلا كان الرجحان بينهما للكفة الإسلامي^(٣). ويعمل البروفسور شبروك ولIAMZ في كتابه دولة الباكستان - صاحب الباكستان، يعلل حركات المسلمين في الهند مع الدولة البريطانية ومع طوائف الوطنيين هناك من غير المسلمين بأنها وليدة البحث: «لا عن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطلق من قيود المستغلين وحسب بل هي وليدة السعي إلى إقامة بلاد تسود فيها آداب الإسلام، وتمتنع فيها ظلم الأغنياء للقراء. ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعي التي يتعلمونها من سماحة الشريعة».

ويقال عن «تقالييد» الإسلام: «إن هذه التقاليد تشتمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله وتقرر أواصر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف حمايته من يجور عليه، وإغاثة المعوزين والمحروميين وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقيم.. ومعاملتهم من ثم- للبلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلو في إثبات وجودهم والتصلب في إملاء تقاليدهم الحرفية أو الوقوف موقف الإحجام والاعتذار»^(٤).

ويقول الأستاذ «مونتجومري وات» عميد قسم الدراسات العربية بجامعة «أديبيرة» في كتابه الإسلام والجماعة المتحدة: «إن فكرة «الأمة» كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البدعة التي لم يسبق إليها ولم تزل إلى هذا الزمن ينبعواً لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بال المسلمين إلى «الوحدة» في «أمة» واحدة تختفي فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة، وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهندو والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض على تباعد الأقطار وتفاوت المصالح»^(٥).

(١) نظام حقوق المرأة في الإسلام، مصدر سابق من ٨٠-٨١.

(٢) نفس المصدر، ص ٩٣.

(٣) ما يقال عن الإسلام، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، ط٢، ص ٨.

(٤) نفس المصدر، ص ١٣٧.

(٥) ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص ١٨٣.

الإنسان الحديث يج اليوم في ذلك الكتاب الذي يشر به رجل يعيش في بيته جاهله قبل مئات السنين إشارات واضحة إلى ما كشف عنه العلم الحديث، حتى قال المستشرق الإنجليزي «أجنيري» أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد عندما اكتشف العلم دور الرياح في التلقيح أن أصحاب الإبل قد عرروا أن الريح تلقيح الأشجار والشمار قبل أن يتوصل العلم في أوروبا إلى ذلك بعده قرون - يشير بذلك إلى قوله سبحانه وتعالى «أرسلنا الرياح لواحد» (الحجر ٢٢).

وكتب الدكتور «واكيسا واكليري» أستاذ جامعة نابل يقول: «ما هي العلة في أنه مع وجود الحريات الكثيرة المسمومة في البلاد الإسلامية للأقليات غير المسلمين، ومع أنه لا وجود في العهد الحاضر بالمعنى الواقعي لأي نظام تبليغي للإسلام، ومع ما هو محسوس من آثار وعلم الدين وانكساره في السنين الأخيرة... مع ذلك نرى الإسلام يتقدم في آسيا وأفريقيا بصورة مستمرة لا تقطع؛ لا تقدر أن نقول اليوم بأن سيف الفاتحين تفتح الطريق لنشر الإسلام، بل الأمر بالعكس، ففي مناطق كانت تحكمها يوماً حكومات إسلامية تحكمها اليوم دول جديدة من سائر الأديان ولهم أجهزة تبشيرية بين المسلمين وهي نشيطة لعدة سنين ومع ذلك لم يقدروا على فصل الإسلام عن حياة الناس: فما هي القوة المعجزة المودعة في هذا الدين؟ أي قوة ذاتية من الاقتناع ممترحة بهذا الدين؟ وما هي تلك الأعمق والزوايا في روح البشر التي تستقبل الإسلام بهكذا حرارة وتلبّي هذه الدعوة بجواب: ليك؟!»^(١).

يقول الأستاذ «وسترمان»: «ولهذا نرى أن الأفارقة الذين تلقوا أخيراً التعاليم المسيحية أصبحوا يبلغون للإسلام! ذلك أن السود الأفارقة لا أمل لهم في التساوي مع إخوتهم المسيحيين الأوروبيين لذلك فهم يستعدون لتقدير الإسلام، إذ أنهم يفهمون أن الدين الوحد الأفريقي هو الإسلام»^(٢).

ويقول عالم مسيحي اسمه «استانورد كوب»: «كان الإسلام منذ ظهوره يُعد دين الأخوة، وهو بعد في هذا العصر لم يفقد روحه وامتيازه هذا»^(٣).

(١) موجز في أصول الدين، المجموعة الكاملة، الشهيد المصدر، ج ٩، ص ٧٩، دار التعارف، لـط.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، مصدر سابق، ص ٣٩ - ٣٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٤٢.

(٤) نفس المصدر، ص ٦١.

الإسلام دين الله الخاتم

كتب البروفسور الإيطالي الشهير الدكتور «والجليري» يقول شأن القرآن الكريم: «لا يمكن أن يكون القرآن صادراً إلا من ساحة رب قدير يحيط علمه بما في السموات والأرض جميعاً»^(١). وكتب «تولستوي» الفيلسوف الروسي الشهير: «يكفي محمداً فخراً أنه خلص أمّة ذليلة دمية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجههم طريق الرقي والتقدم. وإن سريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة»^(٢).

الخاتمة

الخلاصة التي نستنتجها من هذا البحث، هي أن الإسلام قادر على قيادة العالم نحو سعادته المنشودة فالإسلام يتمتع بالخصائص التي تمنحه القدرة على مواكبة الزمان بما يتضمن من خصائص موافقة للفطرة الإنسانية، ومرؤنة في التعاطي مع قضايا الحياة الإنسانية. ويبقى الإسلام الشعلة التي يهتدي العالم بضيائها، ولابد أن يأتي ذلك اليوم الذي وعد به المسلمين بالنصر رغم كيد الكافرين وبغائهم، ﴿يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَّمٌ نُورٌ﴾. عندها ستصل الإنسانية إلى كمالها المرتقب لها، في ظلّ دولة العدل الإلهي، بقيادة سليل العترة الطاهرة، المهدي ابن الحسن عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين.

(١) نفس المصدر، ص ١٢١.

(٢) نفس المصدر، ص ١٢٢.

لائحة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، ط١.
٣. الوحي والنبوة، الشهيد مرتضى مطهرى، دار المحة البيضاء، لا ط.
٤. النبوة الخاتمة، الشهيد السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، لا ط.
٥. مقاهيim القرآن، الجزء الثالث، الشيخ جعفر السبحاني، دار الأضواء، ط٢.
٦. مجلة فقه أهل البيت، العدد الأول.
٧. نظام حقوق المرأة في الإسلام، الشهيد مطهرى، الدار الإسلامية، ط٢.
٨. علم الكلام الجديد- نشأته وتطوره، الشيخ إبراهيم بدوى، دار العلم، ط١.
٩. تقسيم الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعلة، ط١.
١٠. ما يقال عن الإسلام، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، ط٢.
١١. موجز في أصول الدين (المجموعة الكاملة)، الشهيد السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف، لا ط.
١٢. فلسفة الصدر، الدكتور محمد عبد اللاهري، مؤسسة العارف، ط٢.
١٣. الله بين الإيمان والإلحاد- الله في التصور الإسلامي، السيد صدر الدين القبانجي، دار التعارف، لا ط.
١٤. الإسلام والحضارة الغربية، السيد مجتبى الموسوي اللاهري، دار الأمير، لا ط.
١٥. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وحي، دار المعرفة، ط٣.
١٦. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، مؤسسة الرسالة، ط٢٢.
١٧. الإسلام ومتطلبات التغير الاجتماعي، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الولاء، ط١.
١٨. الإسلام بنظرة عصرية، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملائين، ط٣.
١٩. الإسلام مع الحياة- دراسة في ضوء العقل والتطور، الشيخ محمد جواد مغنية، دار العلم للملائين، ط٣.
٢٠. الصراع الحضاري وال العلاقات الدولية- قراءة في فكر الإمام الخميني بالإسلام والفكر السياسي الأميركي، الدكتور سمير سليمان، دار الحق، ط١.
٢١. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسین في الحوزة العلمية.
٢٢. بيعة ظهور الإسلام، السيد بهشتی، دار الروضة، لا ط.

الإسلام دين الله الخاتم

٢٣. نظرة عامة حول العبادات، السيد محمد باقر الصدر (المجموعة الكاملة)، دار التعارف، لا ط.
٢٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، منشورات ذوي القربي، ط١.
٢٥. نظام الدولة والقضاء والعرف في الإسلام، الدكتور سمير عالية، مؤسسة مجد، ط١.
٢٦. مجلة الحياة الطبية، العدد الثاني عشر.
٢٧. مصدر التشريع ونظام الحكم في الإسلام، السيد محمود الهاشمي، دار الأعراف، ط١.
٢٨. رسالة الثقلين، العدد ٣٣٤.
٢٩. الطبقات الكبرى لابن سعد، دار الكتب العلمية، ط١.
٣٠. تاريخ اليعقوبي، مؤسسة الأعلمي، ط١.
٣١. منهجية الثورة الإسلامية، مقتطفات من أفكار وأراء الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط١.